جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

جَدَلِيَّةُ التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ وَالمَقَام فِي الخَبَرِ الإنْكَارِيِّ وَدَوْرُهَا فِي تَحْلِيلِ الخِطَابِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

دكتور
أحمد علي سعدالله علي شافعي
أستاذ النحو والصرف المساعد
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة جازان

العدد الثامن عشر

للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الجزء الثانى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ ٤٥٢
الفصل الأول : تحقيق رواية الكندي وأبي العباس	١ ٤٥٦
الفصل الثاني : (ما جاء على الأصل)	١ ٤٦٤
مواضع دخول اللام بعد (إن) المكسورة الهمزة ، ووظيفتها عند النحاة	١ ٤٦٤
الفصل الثالث : ما جاء على غير الأصل ، وبيانه	١ ٤٧٨
أولا : ما جاء من الآيات على هيئة الخبر الإنكاري ، وهو- في الظاهر- موجه إلى غير منكر ، وبيانه .	١ ٤٧٨
ثانيا : ما جاء من الآيات على غير تركيب الخبر الإنكاري ، وهو موجه إلى منكر ، وبيانه	١ ٤٨٣
خاتمة تتضمن أهم نتائج الدراسة	١ ٤٨٨
المصادر والمراجع	١ ٤٩٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد

فقد اكتظت كتب البلاغة بالحديث عن أنواع الخبر ، والبلاغيون يصدِّرون تقسيمهم هذا بقصة يرويها اللاحق منهم عن السابق ؛ إذ ذكرها إمام البلاغيين عبد القاهر ونقلها السكاكي ثم القزويني ثم من تبعهم من أصحاب البلاغة .

تلك القصة تتضمن محاجَّة بين عالمين؛ أحدهما من أهل المنطق وعلومه وهو الكندي الفيلسوف ، وهو معروف ، وأما الثاني فهو أبو العباس ، وهو من أهل العربية – على ما تومئ إليه روايات البلاغيين –

ومضمون القصة أن الكندي قد لاحظ تعددا في التراكيب الخبرية في العربية دون حاجة معنوية ، فسمَّى هذا التعدد حشوا ، وقال لأبي العباس :" إني لأجد في كلام العرب حشوا " فقال له أبو العباس: في أي موضع وجَدْتَ ذلك؟ فقال: أَجِدُ العربَ يقولون: "عبدُ الله قائمٌ"، ثم يقولون "إنَّ عبدَ الله قائمٌ"، ثم يقولونَ: "إنَّ عبدَ اللهَ لقائمٌ"، فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ، فقولُهم: "عبدُ الله قائمٌ"، إخبار عن قيامه وقولهم: "إن عبدَ الله قائمٌ"، جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ وقولهم: "إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ"، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قيامَهُ، فقد تكررت الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني".

لقد خيمت الجدلية على هذه الرواية من نواح شتى ؛ فأحد طرفي القصة من أرباب الجدل والمحاجة وهو الكندي الفيلسوف ، وتاريخه في المداخلات والمناظرات والجدل معروف ، وسؤاله جدلي ، وهو حول وجود الحشو في أساليب العربية ؛ إذ تزيد الكلمات في التركيب اللغوي دون حاجة – على ما يراه هو –، ثم إن طرف القصة الآخر وهو أبو العباس شخصية دار حولها الجدل بين الرواة والمحققين في تحديده من بين جملة آباء العباس الذين اشتغلوا بعلم العربية إبَّان تلك الفترة التي عاش فيها الكندي ، ثم إن مضمون الرواية نفسها أمر لم يخل من الجدل حوله في كتب البلاغة التي تعرضت للحديث عما جاء الإخبار فيه على غير

مقتضى الظاهر؛ إذ يحاول البلاغيون إيجاد تفسير للعدول عن التركيب المتوقع من المخاطب أول الأمر إلى تركيب آخر، ولم يخل الأمر من الجدل عند النحاة الذين تعددت آراؤهم واختلفت حول المواضع التي يجوز دخول اللام فيها على جملة (إن) المكسورة الهمزة ودلالة (إن) واللام في هذه المواضع.

ورغم كل هذه الطبيعة الجدلية التي تحوم حول هذه الرواية ومضمونها نجد أهل البلاغة يأخذونها سندا لتقسيمهم الثلاثي للخبر؛فالخبر عندهم ابتدائي أو طلبي أو إنكاري.

لكن ؛ من أبو العباس هذا الذي جعل البلاغيون كلامه مسلَّمة ينطلقون من ورائها إلى هذا التقسيم الثلاثي للخبر ؟!

وهل يكون دخول (إن) على الجملة الاسمية متجاوزا لمجرد الدلالة على التوكيد ؛ ليجعل التركيب اللغوي ملائما لمقام دون مقام، أو ليجعل الحال يقتضي النطق بتركيب دون غيره ؟!

وهل يكون دخول (لام الابتداء) على الجملة بعد (إن) المكسورة الهمزة دافعا للتركيب نحو مقام جديد لا يليق له التركيب الذي يحوي (إن) دون اللام؟!

هل يكون شكل التركيب النحوي متجاوزا لدلالة العلامات الإعرابية على وظائف الكلمات داخل الجملة ليدل على طبيعة المقام، ويمكِّن من استقراء الموقف وطبيعة المتكلم والمخاطب وموقفهما من الجملة باطراد أم أن الأمر مجرد تقريب لا يرقى لدرجة التعميم وطرد الأحكام ؟!

هذه نظرية إن ثبت اطرادها في الأساليب العربية فسيكون سبقا للسلف من علماء العربية نحاة وبلاغيين في علم تحليل الخطاب ، الذي نصَّ الغربيون على أن من أهم أهدافه إدراك الجوانب النفسية والاجتماعية والعقدية للمتكلمين باللغة من خلال استقراء النص أو الخطاب ، إذ يمكن حينئذ استقراء أحوال المخاطبين النفسية والعقلية والعقدية في التراكيب العربية الفصيحة من خلال إمعان النظر في أدوات التوكيد الموظفة في النص اللغوي باعتبارها قرينة على تلك الحال النفسية للمخاطب أو المخاطبين وما يعتورهم من ظنون وهواجس وعقائد تخالف الخبر

المسوق في العبارة أو توافقه ، وسيكون هذا مسلكا نحو إدراك البنية العميقة ودلالاتها في كثير من النصوص اللغوية العربية أيضا .

لكن ؛ لا شك أن الحكم باطراد اختلاف الدلالة والمقام باختلاف التركيب النحوي في الجملة الاسمية المسوقة للخبر أمر يحتاج إلى رصد من التراث الفصيح ؛ إذ لا يكفي فيه الاعتماد على رواية واحدة لم ينص البلاغيون على صاحبها نصًّا صريحا .

والقرآن الكريم هو أصدق نص في رصد هذه الطبيعة اللغوية في الكلام العربي الفصيح؛ ذلك أن رصدها عن طريق الحديث الشريف قد يشوبه جواز رواية الحديث بالمعنى، وتعدد روايات الحديث الواحد، وكذلك رصدها عن طريق الشعر ؛ إذ هو مشوب بالضرورة الشعرية .

وأدوات التوكيد – كما هو معروف – متعددة في العربية – ولها طرائق شتى، ولكننا في هذا البحث سنكتفي برصد التوكيد الإنكاري الذي تكون أداته (إنَّ واللام) ؛ إذ هو الذي نُصَّ عليه في سؤال الكندي الفيلسوف ، ومن ثَمَّ يتيسر تأمُّل المواضع التي جاء التوكيد بها على هذه الصورة في القرآن الكريم ؛ لنرى اطِّرَاد هذه النظرية من عدمه مستقرئين فكرة المقام من علماء التفسير وأسباب النزول؛ مبتدئين في ذلك كله بما نص عليه النحاة وحددوه من مواضع دخول اللام على جملة (إن) المكسورة الهمزة .

وبناء عليه فقد جاءت هذه الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول؛ أما المقدمة فهذا موضعها وفيها كان ذكر دوافع البحث، وأما الفصل الأول فيتناول الرواية المذكورة ؛ لينتهي إلى تحديد أبي العباس هذا بعد رصده لاختلاف المحققين في تحديده، وأما الفصل الثاني فهو بعنوان : (ما جاء على الأصل) ، وفيه تحليل لموقف النحاة من دخول لام الابتداء على جملة (إن) المكسورة الهمزة ومواضعها عندهم، والوظائف الدلالية التي ذكروها لإن واللام ، ومدى تحققها في فهم أهل التفسير لآيات القرآن التي جاءت على هذه الطبيعة في التركيب ، والكشف عما خفي منها .

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان (ما بدا على غير الأصل) ، وتحته مبحثان ؛ الأول (ما جاء من الآيات على هيئة الخبر الإنكاري ، وظاهره أنه موجه إلى غير منكر)

والثاني(ما جاء من الآيات على غير تركيب الخبر الإنكاري ، وظاهره أنه موجه لمنكر).

وقد تلا الفصول خاتمة تتضمن أهم النتائج ، وهي تشفع ببيان للمصادر والمراجع ، والله الموفق والمستعان ، وعليه التكلان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفصل الأول
" تحقيق رواية الكندي وأبي العباس "

لم تتفق المصادر على نسبة رواية أبي العباس والكندي هذه ؛ ونستطيع أن نوجز ما في هذه المصادر تحت نقاط أربع :

أولا: مصادر تذكر الرواية،ثم تكتفي بأن تذكر أن السائل الكندي الفيلسوف، والمجيب أبو العباس دون أن تذكر لنا من المقصود بأبي العباس هذا!

وهذا الصنيع هو ما نجده في دلائل الإعجاز لعبد القاهر(١)، ثم إن محقِّقَيْ الكتاب يختلفان في تحديد أبي العباس هذا ؛ فينص الشيخ شاكر على أنه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، بينما الدكتور هنداوي ينص على أن أبا العباس هو محمد بن يزيد المبرد .

ومن المصادر التي تكتفي بذكر الكنية (أبي العباس) دون تحديده من بين جملة من يكنون بهذه الكنية مفتاح العلوم للسكاكي(٢)، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني(٣)، والجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين المرادي(٤)، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي(٥)، فجميعها تذكر الخبر على أن السائل الكندي الفيلسوف، والمسؤول أبوالعباس دون تحديد لأبي العباس هذا .

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز – عبدالقاهر الجرجاني –تحقيق محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م : ١/ ٣١٥ ، د.عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى– ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١ م : ١/ ٣١٥

(٢) ينظر مفتاح العلوم – السكاكي ت ٦٢٦هـ – ضبطه معلق عليه وكتب هوامشه نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ =١٩٨٧ : ١/ ١٧١

(٣) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة – القزويني ت ٧٣٩ هـ ت تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي – دار لجيل – بيروت – الطبعة الثالثة : ١ / ٧١

(٤) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني بدر الدين حسين بن قاسم المرادي المصري المالكي ت ٧٤٩هـ – تحقيق : د فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ =١٩٩٢م : ١/ ١٣١ .

(٥) ينظر صبح الأعشى في صناعة الإنشا – أحمد بن علي الفزاري القلقشندي ت ٨٢١هـ – دار الكتب العلمية – بيروت : ١ / ٢٢٣ ، والنص فيه منقول عن دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني .

ثانيا : مصادر تنقل الرواية وتحدد أبا العباس هذا بأنه المبرد ؛ خاتم البصريين ، ومن هذه المصادر كتاب التفسير الكبير المسمى "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي[٦] المتوفى سنة ٦٠٦هـ، ونهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي شهاب الدين النويري[٧]المتوفى سنة ٧٢٣هـ ، وكتاب غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المتوفى ٨٥٠ هـ[٨].

ثالثا : مصادر تنقل هذه الرواية جاعلة أبا العباس هذا هو نفسه الكندي الفيلسوف ، وتجعله المسؤول ، وتجعل السائل رجلا آخر لا تَذْكُرُ اسمه ؛ ومن هذه المصادر " الدر المصون في علم الكتاب المكنون " للسمين الحلبي ، فقد جاء فيه : " ومِنْ أحسن ما يُحْكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكِنْدِيِّ فقال : إني أجد في كلامِ العربِ حَشْواً قال : وما ذاك؟ قال : يقولون : زيدٌ قائمٌ ، وإنَّ زيداً قائمٌ ، وإنَّ زيداً لَقائمٌ . فقال : كلا بل المعاني مختلفةٌ ، فزيد قائمٌ إخبارٌ بقيامِه ، وإنَّ زيداً قائمٌ جوابٌ لسؤالِ سائلٍ ، وإنَّ زيداً لَقائمٌ جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ"[٩] .

رابعا : قسم يتردد في تعريف أبي العباس هذا فتارة يذكر أنه المبرد ، وتارة يذكر أنه الكندي الفيلسوف نفسه ، وهذا الخلط هو ما بدا في كتاب " اللباب في علوم الكتاب " لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفى ٧٧٥هـ، حيث ذكر صاحبه في الجزء الأول الخبر منسوبا إلى المبرد ، ومرويًّا عن ابن الأنباري؛ فقال : " روى ابن الأنباري " أن الكِنْدِيّ " المتفلسف ركب إلى المبرد وقال: إني أجد في كلام العرب حشواً ، أجد العرب تقول :

---

(٦) ينظر التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " – فخر الدين الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ : ٢/ ٢٨١ .

(٧) ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب – أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي ؛ شهاب الدين النويري – دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ :٧/ ٨٢ .

(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان – نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تحقيق : زكريا عميرات – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ : ١/ ٥٠ .

(٩) الدر المصون في علم الكتاب المكنون – السمين الحلبي المتوفى ٧٥٦ هـ تحقيق د. أحمد بن محمد الخراط – دار القلم – دمشق : ٩/ ٢٥٢ .

"عبد الله قائم" ، ثم يقولون : " إنَّ عبد الله قائم " ثم يقولون : "إنَّ عبد الله لقائم " .

فقال المبرد : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ : فقولهم: عبد الله قائم " إخبار عن قيامه ، وقولهم : " إن عبد الله قائم " جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : " إن عبد الله لقائم " جواب عن إنكار منكر لقيامه"(١٠) .

وفي موضع متأخر من الكتاب نفسه قال صاحب الكتاب : " قال أهل البيان : الأخبار ثلاثة أقسام : ابتداءٌ وطلبيٌّ وإنكاريٌّ . فالأول: (يقال) لمن لم يتردد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زَيْدٌ عَارِفٌ.

والثاني: لمن هو مترد في ذلك طالبٌ له منكِرٌ له بعض إنكار فيقال له: إنَّ زَيْداً عَارِفٌ.

والثالث: لمن يبالغ في إنكاره فيقال له: إنَّ زَيْداً لَعَارِفٌ ؛ ومن أحسن ما يُحْكَى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكِنْديِّ فقال: يا أبا العباس: إني لأجدُ في كلام العرب حشواً قال: وما ذاك؟ قال: يقولون زُيْدٌ قَائِمٌ، وإنَّ زَيْداً لَقَائمٌ، فقال: كلاَّ، بل المعاني مختلفة، «فعبد الله قائم» إخبار بقيامة، و «إنَّ عبد الله قائمٌ» جواب لسؤال سائل و «إنَّ عبد الله لقائمٌ» جواب عن إنكار مُنْكِر"(١١).

فالدمشقي يجعل أبا العباس في بداية كتابه المبردَ ، ثم ينص في الجزء السادس عشر من الكتاب نفسه على أن أبا العباس هو الكندي الفيلسوف نفسه ، وأن السائل له رجل آخر، ويبدو أن المحققين للكتاب قد نسَوْا ما ذكره المؤلف في الجزء الأول من أن أبا العباس هو المبرد ، فلم يشيروا إلى ذلك التناقض في الحاشية ، واكتفوا بأن ذكروا أن المتكلم بهذا في دلائل الإعجاز ، وإيضاح القزويني هو المبرد عندما سأله الكندي المتفلسف(١٢)، وهو قول ليس دقيقا على أي حال ؛ لأن الجرجاني والقزويني ذكرا المتكلم بكنيته ، وهي (أبو العباس) ولم يظهر من

(١٠) اللباب في علوم الكتاب –أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفى ٧٧٥هـ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م : ٣٠٧/١
(١١) المرجع السابق : ١٦ / ١٨٤ .
(١٢) ينظر المرجع السابق : ١٦ / ١٨٤.

كلامهما إن كان هو المبرد أو غيره ، وهو الأمر الذي جعل محققي دلائل الإعجاز يختلفان في تحديد أبي العباس هذا ، فمن قائل هو المبرد خاتم البصريين ، وقائل هو ثعلب خاتم الكوفيين ؛ كما ذكرت آنفا(١٣) .

وما يبدو لي هنا أن صاحب اللباب اعتمد في الموضعين على نقلين مختلفين، ونظرا لضخامة كتابه ، وبُعْدِ المسافة بين الموضعين فقد أصابه السهو، فنسي ما ذكره في الجزء الأول من أن الرواية منسوبة للمبرد ؛ وليس هذا مني رجما بغيب ، وإنما يقوم عليه دليلان من كلام صاحب اللباب نفسه ؛ أما الأول فهو ما ذكره في الجزء الأول من أن الرواية التي رواها طريقها ابن الأنباري ، وهو نفس الطريق الذي روى عنه عبد القاهر ؛ بل إن أحدا لن يكون مبالغا إذا قال : إن مصدر الدمشقي فيها هو عبد القاهر نفسه ؛ إذ نجده بعدها مباشرة يذكر تعليق عبدالقاهر على الخبر، وحجج عبد القاهر في تعليل صحة رأي أبي العباس.

وأما الثاني : فهو أن الطريق الذي روى عنه الدمشقي في الجزء السادس عشر من اللباب غير الطريق الأول تماما ، ذلك أنه أخذه عن صاحب الدر المصون السمين الحلبي ؛ وهذا واضح جليٌّ لكل من يقرأ في الكتابين معًا في آن واحد ؛ إذ يبدو جليًّا أن صاحب اللباب قد نقل في هذا الموضع قول صاحب الدر المصون بنصه ، وإنْ لم يذكر ذلك ؛ قال صاحب الدر المصون : " قال أهل البيان : الأخبارُ ثلاثةُ أقسامٍ : ابتدائيٌّ وطلبيٌّ وإنكاريٌّ ، فالأولُ يُقال لمن لم يتردَّدْ في نسبةِ أحدِ الطرفين إلى الآخر نحو : زيد عارفٌ ، والثاني لِمَنْ هو متردِّدٌ في ذلك ، طالِبٌ له منكِرٌ له بعضَ إنكارٍ ، فيقال له : إنَّ زيداً عارِفٌ ، والثالثُ لِمَنْ يبالِغُ في إنكارِه ، فيُقال له : إنَّ زيداً لعارِفٌ . ومِنْ أحسن ما يُحْكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس الكِنْدِيِّ فقال : إني أجد في كلامِ العربِ حَشْواً قال : وما ذاك؟ قال : يقولون : زيدٌ قائمٌ ، وإنَّ زيداً قائمٌ ، وإنَّ زيداً لَقائمٌ . فقال : « كلا بل المعاني مختلفةٌ ، فزيد قائمٌ إخبارٌ بقيامِه ، وإنَّ زيداً قائمٌ جوابٌ لسؤالِ سائلٍ ، وإنَّ زيداً لَقائمٌ جوابٌ

(١٣) ينظر دلائل الإعجاز تحقيق الشيخ محمود شاكر: ١/ ٣١٥، وتحقيق د.عبدالحميد هنداوي: ١/٢٠٦.

عن إنكارِ مُنْكِرٍ » . قلت : هذا هو الكنديُّ الذي سُئل أن يعارِضَ القرآنَ ففتح المصحفَ فرأى سورةَ المائدةِ فكعَّ عن ذلك . والحكايةُ ذكرتُها أولَ المائدة "(١٤).

ومن عجب أن نجد هذا الكلام بنصه هو كلام صاحب اللباب ؛ لم يغيِّر فيه إلا شيئا طفيفا لا يكاد يُذْكَرُ ؛ حتى إذا ما وصل إلى قول صاحب الدر : "هذا هو الكنديُّ الذي سُئل أن يعارِضَ القرآنَ ففتح المصحفَ فرأى سورةَ المائدةِ فكعَّ عن ذلك" سكت صاحب اللباب عن قوله : " فكع عن ذلك " ؛ ليقف عند فرأى سورة المائدة ؛ ثم ينقل قولا لأبي حيان في الآية الكريمة .

وفي هذا دليل واضح على أن صاحب اللباب نقل هذا الموضع نقلا عن صاحب الدر المصون ، ويؤكد لنا ذلك بما لا يدع مجالا للشك قوله بعد هذا الموضع بسطرين فقط : " قال شهاب الدين : وهذا قصور عن فهم ما قاله أهل البيان " ، وشهاب الدين هو صاحب الدر المصون؛ فهو قد نقل عنه تفسير الآية ثم نقل رأيه في النهاية فاصلا بين التفسير والرأي بقول لأبي حيان.

وما يهمنا هنا أن نتأكد من أن مصدر الرواية هنا ليس ابن الأنباري ؛ بل ليس إلا السمين الحلبي ؛ لنحصر من قال بأن المسؤول كان الكندي الفيلسوف في مصدر واحد فقط ، وهو السمين الحلبي ؛ صاحب الدر المصون ، وأن صاحب اللباب قد نقله عنه دونما التفات منه إلى الرواية الأولى التي رواها لهذا الخبر ، وكان طريقها ابن الأنباري .

وجملة الأمر أن الخلاف في نسبة هذا الرأي سيكون على الأوجه التالية

١- نسبته إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ؛ خاتم الكوفيين ، وهو ما قال به الشيخ محمود شاكر .

٢- نسبته إلى الكندي الفيلسوف نفسه ، وهو ما قاله السمين الحلبي صاحب الدر المصون ، ونقله عنه الدمشقي صاحب اللباب .

٣- نسبته إلى أبي العباس المبرد ، وهو ما قال به الرازي ، وشهاب الدين النويري ، ونظام الدين النيسابوري .

---

(١٤) الدر المصون : ٩/ ٢٥٢ .

وفي تحقيق هذا الأمر نقول : أما نسبته إلى الكندي فمردودة ؛ إذ إن مصدرها واحد ، وهو السمين الحلبي ، وهو متوفى سنة ٧٥٦ هـ ، وهو بذلك متأخر عن عبدالقاهر والقزويني والسكاكي، وجميعهم كانوا يتحدثون عن أن هذا الأمر كان مما خفي على الكندي؛ فلم يدركه حتى سأل عنه.

يتبقى لنا نسبته إلى المبرد أو ثعلب ، والميل إلى واحد منهما أمر يحتاج جانبا من التأني؛ لأن كلا الرجلين كانا يعيشان في فترة زمنية واحدة ، فالمبرد خاتم البصريين ، وثعلب خاتم الكوفيين ، وقد كانا رأسي علوم اللغة في عصرهما ، حتى قال القائل :

أيـــا طالِـــبَ النَّحْـــوِ لا تَجْهلـــنَّ ∴ وعُـــــذْ بـــــالمُبَرِّدِ أو ثَعْلَـــــبِ
تَجِـــدْ عنـــد هَـــذَيْنِ عِلْـــمَ الـــوَرَى ∴ فـــــلا تَـــــكُ كالجمـــــلِ الأجْـــــرَبِ
عُلـــــومُ الْخَلائِـــــقِ مَقرُونَـــــةٌ ∴ بهـــــذَيْنِ في الشَّـــــرْقِ والمَغْـــــرِب

وابن الأنباري[١٥] الذي روى الحكاية كان تلميذا لثعلب، كما نص على ذلك أهل التراجم، قال الذهبي: "وكان رأسا في نحو الكوفيين "[١٦]– يقصد ابن الأنباري – ، وقال عنه أيضا : " سمع أبا العباس الكديمي، وإسماعيل القاضي، وهيثم البزاز ، وثعلبا ، وطبقتهم"[١٧]، وهو ما جاء أيضا في سير أعلام النبلاء ؛ قال صاحب الكتاب في ترجمة ابن الأنباري : " ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وسمع في صباه باعتناء أبيه من محمد بن يونس الكديمي ، وإسماعيل القاضي ، وأحمد بن الهيثم البزاز ، وأبي العباس ثعلب ، وخلق كثير"[١٨] ، وقد قال ابن النديم في الفهرست عند ذكره (أخبار ثعلب): " ولأبي العباس مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما

(١٥) تنظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين – أبو بكر الزبيدي الأندلسي – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف –القاهرة – مصر – الطبعة الثانية : ١٥٣، ١٥٤
(١٦) تذكرة الحفاظ – الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان : ٨٤٣/٣
(١٧) نفسه : ٣/ ٨٤٤
(١٨) سير أعلام النبلاء – الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ – تحقيق إبراهيم الزيبق وشعيب الأرنؤوط– مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م : ٣/ ٤٢: ١٥ /٢٧٤

سمع وتكلم عليه ؛ روى ذلك عنه جماعة منهم أبو بكر بن الأنباري وأبو عبد الله اليزيدي وأبو عمر الزاهد وابن درستويه وابن مقسم"[١٩] ، وفي كلامه نص صريح على أن ابن الأنباري كان أحد من رووا عن ثعلب.

وهذا هو الأمر الذي يؤكده صاحب إنباه الرواة ؛ إذ ينص في أكثر من موضع في كتابه على أن ابن الأنباري كان يحضر مجالس أبي العباس ثعلب ؛ فقد أورد قول إبراهيم الموسوس لابن الأنباري : " ألست تذكر اجتماعنا عند أبي العباس يعني ثعلبا في يوم كذا وفي يوم كذا "[٢٠]، كما ذكر القفطي أيضا أن ابن الأنباري أخذ النحو عن أبي العباس ثعلب[٢١].

وهذا ما يجعلنا نرجح هنا أن أبا العباس المقصود في الرواية هو أحمد بن يحيى ثعلب خاتم الكوفيين ، وليس المبرد خاتم البصريين .

ويرجح ما ذهبنا إليه أيضا أن الطرف الآخر في القصة ، وهو الكندي كانت معظم نوادره في الكوفة ، وفيها وُلِدَ ، وهذا ما يجعله قريبا من ثعلب ، وليس المبرد .

وربما يعزى هذا الخلط الذي حدث في صاحب الرواية إلى البعد الزمني بين حدوث القصة وبين روايتها وتدوينها ، فالقصة حدثت في حياة الكندي الفيلسوف المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين ، وابن الأنباري الذي نقلها مولود سنة اثنتين وسبعين ومائتين على ما ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ، أي أن من روى القصة لم ير الكندي ؛ إذ كان مولد ابن الأنباري بعد موته ، ثم إن الناس قد أخذوا القصة من ابن الأنباري ، ورووها دون أن ينصوا على تحديد أبي العباس ربما لأنهم كانوا يشعرون أن من يعرف طرفي القصة وراويها سيعرف أن المقصود هو ثعلب ، وليس غيره ؛ إذ هو اللغوي الكوفي الذي يشارك الكندي في موطنه ، وهو أيضا العالم الذي تربى على يديه وجالسه ابن الأنباري الذي نقل القصة .

---

(١٩) الفهرست – محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم – دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨ م :-١/ ١١

(٢٠) إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي ت ٦٢٤ هـ – تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م : ٣/ ٢٠٦

(٢١) نفسه : ٣/ ٢٠٧

وبناء على ذلك فقد ظل أقوام ينقلونها عن أبي العباس دون تحديد للكنية ، وهذا ما بدا عند عبدالقاهر والسكاكي والقزويني ، وغيرهم على ما يبدو مما تقدم ذكره .

ثم إن بعض المتأخرين حاول تحديد أبي العباس هذا فذكر أنه المبرد خاتم البصريين ؛ وهؤلاء مثل الفخر الرازي وهو متوفى ٦٠٦ هـ ، وشهاب الدين النويري المتوفى ٧٢٣ هـ ونظام الدين النيسابوري المتوفى ٨٢٥ هـ ، وقد ذكروا أنه المبرد لكون المبرد يعيش في نفس الحقبة التاريخية التي كان يعيش فيها أبو العباس ثعلب ، وقد كان جل اهتمامهم منصبا على مضمون الرواية ، وهو الأمر الذي لم يجعلهم يكترثون بالرجوع إلى طريق الرواية وهو ابن الأنباري ليعرفوا أنه كان طريقا من طرق الرواية عن أبي العباس ثعلب لا المبرد ، أو أن الطرف الآخر للرواية وهو الكندي كان كوفي المولد والنشأة مما يرجح اعتبار أبي العباس المقصود في القصة كوفيا أيضا ، وليس بصريا .

الفصل الثاني
ما جاء على الأصل

ينبغي أن أنبه – بادئ ذي بدء – إلى أن موضع العناية سيكون التركيب الذي ورد في سؤال الكندي ، وهو الذي تكون أداته إن واللام ؛ فهو فقط المعنيُّ بالرصد الدقيق هنا من بين طرق وأدوات التوكيد الإنكاري ؛ وذلك لأن رصد طرائق التوكيد وأدواته المختلفة صنيع قد سُبِق إليه هذا البحث بخِضَمٍّ من الدراسات القديمة والحديثة ؛ ثم إنَّ هدف البحث هو التأكد من اطِّراد ما ذكره أبو العباس أو عدمه في كلام العرب ، والنص على ما يمكن استقراؤه من مثل هذه التراكيب المؤكَّدة من أحوال المخاطبين والمتكلمين النفسية والعقدية والاجتماعية ....إلخ، وهذا الهدف سيكون أقصر طريق إليه هو القصد المباشر إلى التركيب الذي ذكره الكندي، وفسره أبوالعباس،واستقرأ منه ما نص عليه في ردِّه،كما أنَّ الانصراف وراء أدوات التوكيد بقصد حصرها كاملة أمر لا يزيد البحث إلا تكرارا ولا الباحث إلا تشتتا.

مواضع دخول اللام بعد (إن) المكسورة الهمزة ، ووظيفتها عند النحاة :

لقد حدد النحاة العرب المواضع التي تأتي فيها اللام بعد (إنَّ) المكسورة الهمزة حتى قال ناظمهم :

وَبَعْـدَ ذَاتِ الْكَسْـرِ تَصْـحَبُ الْخَبَـرْ ∴ لاَمُ ابْتِـدَاءِ نَحْـوُ إِنِّـي لَـوَزَرْ

وَلاَ يَلِـي ذِي الـلاَّمَ مَـا قَـدْ نُفِيَـا ∴ وَلاَ مِـنَ الأَفْعَـالِ مَـا كَرَضِـيَا

وَقَـدْ يَلِيهَـا مَـعَ قَـدْ كَـإِنَّ ذَا ∴ لَقَـدْ سَـمَا عَلَـى الْعِـدَا مُسْـتَحْوِذَا

وَتَصْـحَبُ الْوَاسِـطَ مَعْمُـولَ الْخَبَـرْ ∴ وَالْفَصْـلَ وَاسْـماً حَـلَّ قَبْلَـهُ الْخَبَـرْ

وهم يسمون هذه اللام " اللام المزحلقة، والمزحلفة، بالقاف والفاء، وبنو تميم يقولون: زحلوقة، بالقاف، وأهل العالية: زحلوفة، بالفاء، سميت بذلك لأن أصل: إن زيدًا لقائم؛ لأن زيدًا قائم، فكرهوا افتتاح الكلام بحرفين مؤكِّدين، فزحلقوا اللام دون "إنَّ" لئلا يتقدم معمولها عليها"(٢٢)

---

(٢٢) التصريح بمضمون التوضيح – الشيخ خالد الأزهري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢١ هـ =٢٠٠٠ م : ١/ ٣١١ .

قال ابن هشام في المغني: "وإنما لم ندَّعِ أنَّ الأصل (إنَّ لَزيدا قائم) لئلا يحول ماله الصدر بين العامل والمعمول ، ولأنهم قد نطقوا باللام مقدمة على إنَّ في نحو قوله:

..... ∴ لَهِنَّكَ مِن بَرْقٍ عَلَيَّ كَرِيمِ"[٢٣]

ووظيفة هذه اللام التوكيد ؛ ولذلك فهي تدخل بعد (إنَّ) المكسورة الهمزة ؛ لشبه (إنَّ) باليمين ، أو لتضمنها معنى اليمين ؛ قال سيبويه : " وتقول إذا أردت معنى اليمين أعطيته ما إن شره خيرٌ من جيِّد ما معك ....؛ فإنَّ صلةٌ لِمَا؛ كأنك قلت : ما والله إنَّ شرَّه خيرٌ من جيد ما معك"[٢٤]، وقال أبوعلي:"(إنَّ) لِتَلَقِّي القَسم، وقد تَفْصِلُ بين الصّلة والموصول بالقَسَم"[٢٥] .

وعلل الشيخ خالد الأزهري تسميتهم لها لام الابتداء بأنها " لا تدخل على المبتدأ، وتدخل على غيره بعد "إنَّ" المكسورة "[٢٦] ، وفي كلامه نظر، والأدق ما ذكره سيبويه حيث قال : " وهذه اللام تصرف إنَّ إلى الابتداء كما تصرف عبد الله

---

(٢٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م : ٢ / ٢٥٨ ، والشاهد المذكور هو عجز بيت من الطويل ، وصدره ألا يا سَنا بَرْقٍ على قلل الحِمَى " حيث أبدلت همزة إن فيه هاء ، وتقدمت فيه اللام على (إن) ، والبيت مذكور في الأمالي – أبوعلي القالي ت ٣٥٦هـ – دار الكتب المصرية –الطبعة الثانية، ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦م : ١/ ٢٢٠ ، وفي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – البغدادي ت١٠٩٣هـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون – مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م : ١٠ / ٣٥١ ، و التذكرة الحمدونية – محمد بن الحسن بن حمدون، أبو المعالي البغدادي ت٥٦٢هـ – دار صادر، بيروت– الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ: ٦/ ١٥٣ ، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس – أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي ت ٦٥١هـ هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) ت ٧١١ هـ – تحقيق: إحسان عباس– المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت–لبنان –١٩٨٠: ٢٥٤

(٢٤) كتاب سيبويه – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – تحقيق عبدالسلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – : ٣/ ١٤٦

(٢٥) التعليقة على كتاب سيبويه –أبو علي الفارسي ت ٣٧٧هـ – تحقيق د. عوض بن حمد القوزي – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م: ٢/ ٢٦٠

(٢٦) التصريح بمضمون التوضيح : ١/ ٣١١

إلى الابتداء إذا قلت قد علمت لعبد الله خيرٌ منك ؛ فعبد الله هنا بمنزلة إن في أنه يصرف إلى الابتداء "[٢٧]

وتدخل هذه اللام بعد (إنَّ) المكسورة الهمزة " على أربعة أشياء ، وهي : (الخبر – معمول الخبر – الفصل – الاسم)

أولا : دخولها على خبر (إنَّ) ، وشروطه :

تدخل اللام على خبر " إنَّ " بثلاثة شروط: كونه مؤخرًا" عن الاسم، "و" كونه "مثبتًا، و" كونه "غير ماض" ؛ فيشمل المفرد، "نحو: "إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ"[٢٨]، والجملة المصدرة بالمضارع، نحو: "وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ"[٢٩] ، والجار والمجرور والظرف إذا لم يقدر متعلقهما، نحو: "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ"[٣٠] ، وإن زيدًا لعندك ، أمَّا إذا قدرا متعلقين بـ"استقر" لم تدخل عليهما اللام؛ لأن معمول الفعل الماضي لا تدخل اللام عليه، خلافًا للأخفش.

والجملة الاسمية على قلة ، نحو: " وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ"[٣١] ، وليس "نحن" ضمير فصل، خلافًا للجرجاني "بخلاف" نحو: "إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا"[٣٢] لتقدم الخبر "و" بخلاف "نحو: "إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا"[٣٣]، لنفي الخبر ، وبخلاف نحو: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى"[٣٤] لأن الخبر ماض، وإنما دخلت اللام على الخبر المفرد؛ لأنه أشبه المبتدأ، وعلى الفعل المضارع لشبهه بالاسم ، وعلى الظرف وعديله ؛ لأنهما في حكم الاسم ، وعلى الجملة الاسمية لأنها مبتدأ وخبر، ولم تدخل على الخبر إذا

---

(٢٧) كتاب سيبويه : ٣/ ١٤٨
(٢٨) [إبراهيم: ٣٩]
(٢٩) [النمل: ٧٤]
(٣٠) [القلم: ٤]
(٣١) [الحجر: ٢٣]، واللام هنا داخلة على الجملة الاسمية كلها ،هذا على رأي من قال بأن نحن في الآية ليست ضمير فصل ، وأما من قال بأنها ضمير فصل في الآية الكريمة مثلها مثل (نحن) في قوله تعالى : " وإنا لنحن الصافون " فاللام فيها داخلة على ضمير الفصل لا على الجملة الاسمية ، ودخولها على ضمير الفصل كثير .
(٣٢) [المزمل: ١٢]
(٣٣) [يونس: ٤٤]
(٣٤) [البقرة: ١٣٢] ، [آل عمران: ٣٣]

تقدم لئلا يتوالى حرفا توكيد؛ ولا إذا كان منفيا لئلا يجمع بين متماثلين في نحو: لم ولن ولما ولا، وحمل الباقي عليه، ولم تدخل على الماضي لعدم شبهه بالاسم"[٣٥] .

"وأجاز الأخفش والفراء وتبعهما ابن مالك : إن زيدًا لنعم الرجل"، مما سلب الدلالة على الحدث والزمان[٣٦]، "و:" إن زيدًا "لعسى أن يقوم" مما دل على الزمان، وانتقل إلى الإنشاء؛ "لأن الفعل الجامد كالاسم"[٣٧].

"وأجاز الجمهور: إن زيدًا لقد قام، لشبه الماضي المقرون بـ"قد" بالمضارع لقرب زمانه من الحال"، والمضارع شبيه بالاسم. ومشابه المشابه مشابه"[٣٨].

قال ابن هشام في أوضح المسالك: "وأما نحو "إن زيدًا لَقَامَ " ففي الغرة أن البصري والكوفي على منعها إن قدرت للابتداء[٣٩]، والذي نحفظه أن الأخفش وهشاما أجازاها على إضمار قد "[٤٠]

"ويشترط في الخبر أيضًا أن لا يكون جملة شرطية؛ لأن اللام لا تدخل على الشرط اتفاقًا، وَجوز ابْن الْأَنْبَارِي – أبو البركات المتوفى٥٧٧هـ – ذلك فِي الْجَواب[٤١].

---

(٣٥) التصريح بمضمون التوضيح : ٣١٢/١

(٣٦) ينظر شرح التسهيل – ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين – تحقيق د.عبدالرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون – هجر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م :٢٩/٢ وشرح الأشموني : ١/ ٣١٠ وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)–تحقيق د. عبدالرحمن علي سليمان – دار الفكر العربي– الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م:٥٣٢/١

(٣٧) ينظر مثلا حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك– أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)– دار الكتب العلمية بيروت–لبنان– الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ =١٩٩٧م:٤١٥/١ .

(٣٨) ينظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع– جلال الدين السيوطي – تحقيق د/عبدالحميد هنداوي – المكتبة التوفيقية – القاهرة – مصر : ٥٠٥/١ .

(٣٩) (الغرة) كتاب شرح اللمع لابن جني ومؤلفه ابن الدهان سعيد بن المبارك ، ونص كلام ابن الدهان في هذا الموضع : " ومنع البصري والكوفي من قولهم : " إن زيدا لقام " على أن يكون لام الابتداء " ينظر الغرة في شرح اللمع – أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان – ت ٥٦٩هـ –تحقيق د. فريد الزامل – دار التدمرية – الرياض الطبعة الأولى ١٤٣٢= ٢٠١١م : ٥٧ .

(٤٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ابن هشام الأنصاري – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – ٢٠١٢م = ١٤٣٣ هـ : ١/ ٣١٠ .

(٤١) ينظر همع الهوامع :٥٠٣/١ .

ثانيا : دخولها على معمول الخبر

"الثاني" مما يدخل عليه اللام "معمول الخبر"؛ لأنه من تتمة الخبر، "وذلك بثلاثة شروط الأول : تقدمه على الخبر ، والثاني : كونه غير حال، والثالث : كون الخبر صالحًا لدخول اللام عليه ، نحو: إنَّ زيدًا لَطَعَامَك آكل ".

وبذلك فإنه يجوز في هذه اللام أن تدخل على الخبر – في حال تقدم المعمول عليه، ومن ذلك قوله تعالى "إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ"(٤٢)؛ فاللام قد دخلت على الخبر ، مع وجود المعمول ، وكونه متقدما عليه .

وقد تدخل حينذاك على الخبر ومعموله في تركيب واحد ، قال الفراء: "وإذا عَجَّلت العرب باللام في غير موضعها أعادوها إليه كقولك: إنَّ زيدًا لَإِلَيْكَ لَمُحْسِن، كان موقع اللام في المحسن، فلمّا أُدْخِلَتْ في إليك أُعيدت في المحسن ومثله قول الشاعر:

ولـــو أنَّ قـــومي لم يكونـــوا أعِـــزّة ∴ لَبَعْـــدُ لقـــد لاقيـــتُ لا بـــدّ مَصْـــرعَا

أَدخلها في (بَعد) وليسَ بموضعها ومثله قول أبي الجرّاح: إني لبحمد الله لصالح(٤٣).

قال الأزهري : " وذلك قليل أجازه المبرد، ومنعه الزجاج، وهو الصحيح"(٤٤)

ثالثًا : دخولها على ضمير الفصل :

ويسمى عند الكوفيين العماد(٤٥)، لأنه يُعْتَمَدُ عليه في تأدية المعنى؛ إذْ به يتبيَّن أن الثاني خبر لا تابع، وبعض الكوفيين يسميه دعامة؛ لأنه يدعم به الكلام

---

(٤٢) العاديات : ١٠٠ / ١١ .

(٤٣) معاني القرآن – الفراء –عالم الكتب–بيروت– الطبعة الثالثة١٤٠٣هـ=١٩٨٣م: ٢/ ٣٠.

(٤٤) التصريح : ١/ ٣١٣ .

(٤٥) ينظر مثلا الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – أبو البركات عبد الرحمن الأنباري – دار الفكر – دمشق : ٢/ ٧٠٥ ، وينظر أيضا الأصول في النحو – أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي – تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي –مؤسسة الرسالة – بيروت –الطبعة الثالثة – ١٩٨٨م : ٢/ ١٢٥ ، و اللباب في علل البناء والإعراب – أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله – تحقيق: غازي مختار طليمات – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م:١/٤٩٦ ، و شرح المفصل – ابن يعيش –قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م : ٢/ ٣٢٨ .

أي يقوى به ويؤكد، والتأكيد من فوائد مجيئه؛ وبعض المتأخرين سماه صفة؛ قال أبوحيان: ويعني به التأكيد"(٤٦)

ويُسَمَّى عند البصريين فصلا " لأنه فصل بين المبتدأ والخبر ، وقيل لأنه فصل بين الخبر والنعت ،وقيل لأنه فصل بين الخبر والتابع ؛ لأنَّ الفصل به يوضِّح كون الثاني خبرًا لا تابعًا ؛ وهذا أحسن لأنه قد يفصل حيث لا يصلح النعت نحو (كنتَ أنت القائم) ؛ إذ الضمير لا ينعت"(٤٧)

وقد علل النحاة جواز دخول اللام على ضمير الفصل هذا بكونه يجيء مقويًّا للخبر ؛ قال صاحب التسهيل : " وجاز أن تدخل عليه لأنه مقوٍّ للخبر، برفعه توهُّم السامع كون الخبر تابعًا، فنزل منزلة الجزء الأول من الخبر، فحسن دخولها عليه لذلك"(٤٨).

رابعا : دخولها على اسم (إن) :

تدخل اللام على اسم إنَّ بشرط واحد؛ وهو أن يأتي الاسم متأخرا؛ " إما "عن الخبر، نحو: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً"(٤٩)، أو عن معموله ، أي: معمول الخبر إذا كان المعمول ظرفًا، نحو: إنَّ عندك لزيدًا مقيم ، أو جارًّا ومجرورًا نحو: إن في الدار لزيدًا جالس.

ويمتنع دخول اللام" على الخبر إذا دخلت على الاسم المتأخر، أو على ضمير الفصل"(٥٠)، بخلاف ما تقدَّم من جواز دخولها على معمول الخبر المتقدم وعلى الخبر في تركيب واحد ،كما في " إِنِّي لَبِحَمْدِ الله لَصَالِحٌ " ؛ إذا تقدم معمول الخبر عليه .

---

(٤٦) ينظر التصريح : ، و همع الهوامع: ١/ ٢٧٥ .
(٤٧) همع الهوامع : ١/ ٢٧٥ .
(٤٨) شرح تسهيل الفوائد : ٢/ ٢٧ ، وينظر أيضا حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك – أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي – دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ =١٩٩٧م : ١/ ٤١٧ .
(٤٩) [آل عمران: ١٣] .
(٥٠) ينظر التصريح : ١/ ٣١٣، ٣١٤ .

ولا يجوز عند النحاة أن تدخل اللام على معمول الخبر المتقدم إذا كان حالا؛ مثل قولنا : "إن زيدًا راكبًا منطلق"؛ فلا يجوز عند النحاة "إن زيدا لراكبا منطلق"؛ بينما قولنا "إن زيدا لفوق دابته منطلق"؛ بإلصاق اللام بالمعمول المتقدم على الخبر جائز عندهم؛ لأن المعمول متقدم على الخبر، وهو ليس حالا .

قال الأزهري: "وفرَّقَ ابنُ ولاد بينه – أي الحال – وبين الظرف بأن الحال لا يكون خبرًا وهو حال، بخلاف الظرف فإنه يكون خبرًا وهو ظرف ، والفرق بينه وبين المفعول أن المفعول قد ينوب عن الفاعل، فيصير عمدة، وإذا تقدم على عامله صار مبتدأ، واللام تدخل على المبتدأ، نحو: إن زيدًا لطعامه مأكول"(٥١).

تلك هي المواضع التي تدخل فيها اللام بعد إن المكسورة الهمزة ، كما أوضحها النحاة ؛ على خلاف بينهم في بعضها ؛ وجملة ذلك أن اللام تدخل بعد إن المكسورة الهمزة على الخبر بشروط تقدَّمَ ذِكْرُهَا ، ومعمول الخبر المتقدم عليه بشرط عدم كونه حالا ، والفصل أو العماد ، والاسم بشرط تقدم الخبر أو معموله عليه .

ودلالة اللام المتصلة بهذه الأربعة التوكيد ؛ كما هو مفهوم من كلام النحاة ، إذ هي عندهم تشبه القسم(٥٢)، أو تأتي لتلقي القَسَمِ على حد قول أبي علي(٥٣).

وإذا بدأنا في تأملنا للمعاني ببعض الآيات الكريمة التي دخلت فيها اللام الآتية بعد (إن) المكسورة على الخبر أمكننا إدراجها تحت العناصر الآتية

١- دخولها على الخبر المفرد ، ومثاله قوله – تعالى " إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"(٥٤)

٢- دخولها على الخبر الجملة الاسمية ، ومنه قوله تعالى : " إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ "(٥٥)

٣- دخولها على الخبر الجملة الفعلية التي فعلها مضارع ، مثل قوله تعالى : " وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ"(٥٦)

---

(٥١) نفسه :١/ ٣١٤ .
(٥٢) ينظر كتاب سيبويه : ٣ / ١٤٦ .
(٥٣) ينظر التعليقة : ٢/ ٢٦٠ .
(٥٤) هود : ١١ /٤١ .
(٥٥) الحجر : ١٥ / ٢٣ .

٤- دخولها على الخبر شبه الجملة الجار والمجرور ، ومنه قوله – عز من قائل – " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(٥٧)

٥- دخولها على الخبر؛ شبه الجملة الظرف ، ومنه قوله تعالى : " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ "(٥٨).

والسؤال الآن: هل جاءت هذه الآيات لتعالج نوعا من الإنكار عند من يوجَّه إليهم الحديث ؟ !

أما الآية الأولى ، وهي قوله تعالى : " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " ، فقد يخفى مطلب التوكيد فيها إذا اجتثت من السياق القرآني الذي جاءت فيه على تلك الطبيعة التركيبية ، فقد يقال التوكيد هنا لغير حاجة ، فالمؤمنون ليسوا منكرين لما يقع من الله من واسع المغفرة ؛ ولكن أهل التفسير يعرفون قيمة للتوكيد هنا لا تدرك دونه ؛ قال ابن عباس : " يريد غفور لأصحاب السفينة رحيم بهم، قال أهل المعاني: اتصال هذا بما قبله اتصال المعنى بما يشاكله؛ لأنه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة، ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلب بالطاعة ، كما اجتلبت النجاة "(٥٩) ، وقد ورد في درج الدرر : "وذكر المغفرة والرحمة لترغيب التائبين الذين ركبوا السفينة"(٦٠).

السفينة إذاً أمامهم ، ومن يركبها لا شك تائب من الذنب ؛ إذ قد آمن بأنها مصدر النجاة الوحيد في ذلك اليوم كما أخبرهم نبي الله نوح " قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ" ، وكثرة الذنب تجعل العبد التائب متوهما للعقاب مستبعدا

---

(٥٦) النمل : ٢٧ /٧٤ .
(٥٧) القلم : ٦٨ / ٤ .
(٥٨) العنكبوت : ٢٩ / ٦٩ .
(٥٩) التَّفْسِيرُ البَسِيْط – أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت ٤٦٨هـ – عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ: ١١ /٤٢٤ .
(٦٠) دَرْجُ الدُّرر في تَفسير الآي والسُّوَر – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار ت ٤٧١هـ – حقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان وحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير– دار الفكر – عمان، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م:٢/٥٣ .

المغفرة النجاة والرحمة على ما كان منه ، ومن هنا كان دور التوكيد ؛ قال القاسمي : " إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ جملة مستأنفة، بيان للموجب للإنجاء، أي لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل قومكم، أو تعليل ل (اركبوا) لما فيه من الإشارة إلى النجاة فكأنه قيل: اركبوا لينجيكم الله "(٦١).

وقوله تعالى : " وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ" ، قد يقال : هل من منكر للإحياء والموت ، وهما حقيقتان مشاهدتان عيانا ؟

ويقال ردا على هذا السؤال : إن التوكيد هنا ليس للحياة والموت وإنما هو لمحدثهما ، وموجدهما ، فاللام هنا متصلة بأول الجملة الاسمية لا بالخبر الذي هو فعل مضارع ، وقد وجدت بعض أهل التفسير وأسباب النزول يذكر ما يفيد في تدبر هذه الآية الكريمة ، ومقامها الذي أنزلت فيه ، قال الثعالبي : رَوَى الترمذيُّ وغيره في سبب نُزُولِ هذه الآية، عن ابن عَبَّاس أَنَّهُ قَالَ: كَانَتِ امرأة تصلِّي خلف رسول الله ﷺ، قال ابن عبَّاس: وَلاَ، واللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قال: فَكَانَ بعْضُ المسلمين، إِذا صَلَّوْا تقدَّموا – لئلا ينظروا إليها – ، وبعضُهم يستأَخر، فإذا سجدوا نَظَرُوا إليها مِنْ تَحْت أيديهم، فأنزل اللَّه الآيَةَ"(٦٢)، أي قوله تعالى بعدها : " ولقد علمنا المستقدمين وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ(٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ".

وعليه يكون هؤلاء بصنيعهم هذا بين يدي النبي – ﷺ– قد تنزلوا منزلة المنكرين للبعث والمعاد ؛ بل لمحدثهما الذي له يصلون ؛ ولذا فلا عجب من أن تأتي الآيات في هذه المواضع مفعمة بأدوات التوكيد ، ولا عجب من أن تستخدم اللام هنا ، إذ بدا من حال المخاطبين المصلين ما يكون من تصرف المنكرين فخوطبوا كما يخاطب المنكرون ليفيقوا ويرجعوا .

---

(٦١) محاسن التأويل – محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ١٣٣٢هـ – تحقيق محمد باسل عيون السود– دار الكتب العلميه – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ : ٦ / ٩٥ .

(٦٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن– أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت ٨٧٥هـ – تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ: ٣/ ٣٩٧ .

وأما قوله تعالى : " وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ " ؛ فالإنكار واضح مما تقدمها من آيات ؛ وفي ذلك يقول أبو جعفر الغرناطي : " وقد تقدمها قوله تعالى: "أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون "، فاطرد ما ذكرناه في الطرفين على رعي الإيمان والنفاق وجاء كل على ما يناسب "(٦٣)، فالإنكار واضح من قولهم المذكور ، وعليه جاء التوكيد إنكاريا .

وأما قوله – تعالى _ " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" ؛ الذي وقعت فيه اللام متصلة بالظرف الواقع خبرا لـ (إنَّ) ؛ فقد قال أبو حيان في البحر المحيط : إن الآيات التي ذكرت في ذلك الموضع نَزَلَتْ فِيمَنْ كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ ، أُمِرُوا بِالْهِجْرَةِ عَنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، أَيْ جَانِبُوا أَهْلَ الشِّرْكِ، وَاطْلُبُوا أَهْلَ الْإِيمَانِ"

ثم قال أبو حيان بعد ذلك : " وَلَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى بِسِعَةِ أَرْضِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى الْهِجْرَةِ، وَأَمَرَ بِعِبَادَتِهِ، فَكَانَ قَدْ يَتَوَهَّمُ مُتَوَهِّمٌ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَرْضِهِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا لِأَجْلِ مَنْ حَلَّهَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ فِيهَا مَا كَانَ يَسْتَقِيمُ لَهُ فِي أَرْضِهِ، وَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هَلَاكِهِ. أَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَهَا أَجَلٌ تَبْلُغُهُ، وَتَمُوتُ فِي أَيِّ مَكَانٍ حَلَّ، وَأَنَّ رُجُوعَ الْجَمْعِ إِلَى أَجْزَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٦٤).

فالمقام مقام إنكار كما فهم أبوحيان؛ إذ أنكر بعضهم أن يكون له من السعة في المهجر ما كان له في موطنه .

يتبقى في هذا الموضع ذكر مثال لما جاءت اللام فيه متصلة بالخبر شبه الجملة المكوَّن من الجارِّ والمجرور، ومثاله قوله تعالى : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " ، وقد يقول قائل : هل من منكر لعظمة خلق رسول الله – ﷺ – ، ويقال : إن

(٦٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل – أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ت ٧٠٨هـ – وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان: ١/ ٧٣ .

(٦٤) البحر المحيط في التفسير – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت ٧٤٥هـ تحقيق : صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – ١٤٢٠ هـ: ٨/ ٣٦٤ .

الآيات الكريمة جاءت ردا على من وصفوه – ﷺ– بالجنون فأنكروا ما رأوا فيه – ﷺ – من كمال الخلق وحسنه(٦٥).

وقد ذكرنا فيما تقدم أن النحاة قد نصُّوا على أن اللام تدخل أيضا على معمول الخبر الذي يتقدم على الخبر ؛ فيتوسط بين الاسم والخبر ، وقد تأملت الأمثلة التي وردت في قراءة حفص عن عاصم ، فلم أجد مثالا جاءت فيه اللام متصلة بالمعمول المتقدم الذي هو مفعول للخبر ،وكذلك الذي هو ظرف ، وقد لاحظ الباحث أن اللام في مثل هذه التراكيب في القرآن تأتي متصلة بالخبر ، وإن تقدم المعمول عليه ، وصح نحويا اتصال اللام بهذا المعمول ، ومن ذلك قوله تعالى " إن ربهم بهم يومئذ لخبير " ؛ فاللام قد اتصلت بالخبر مع وجود معمول الخبر ، وكونه متقدما غير حال ، أي مع وجود ما يجيز اتصال المعمول بهذه اللام نحويا؛ وهذا في الحقيقة إعلام على المراد الإلهي من التركيب ؛ إذ فيه توكيد للخبرة والإحاطة الإلهية بالخلق وأحوالهم ؛ لا بحصر وقصر علمه سبحانه على ذلك اليوم دون غيره ؛ ولذا كان اتصالها بلفظة (خبير) الواقعة خبرًا لإنَّ ،ولم يكن اتصالها بمعمول الخبر المتقدم ، والله أعلم .

ودخلت اللام المزحلقة في القرآن الكريم على ضمير الفصل في مواضع عديدة عدَّها بعض من جمعوا الشواهد ثلاثة وعشرين موضعًا(٦٦)؛ مثل قوله تعالى :" وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

وليس من شك في أن دخول اللام على ضمير الفصل هو توكيد على توكيد ، فاللام للتوكيد ،والفصل توكيد كذلك لأنه مقو للخبر كما يقول ابن مالك في

---

(٦٥) ينظر مثلا لباب التأويل في معاني التنزيل – علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن ت ٧٤١هـ تحقيق : محمد علي شاهين –دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ :٤/٣٢٣ .

(٦٦) ينظر معجم المسائل النحوية والصرفية الواردة في القرآن الكريم – الدكتور فانيامبادي عبد الرحيم – الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة – الطبعة الأولى : ٢٦ ، ٢٧ .

التسهيل[٦٧]، فالتوكيد إنكاري من جهة التركيب ، وقد يقال : إن المقام هنا ليس مقام إنكار ؛ إذ إن كل عاقل يعرف أن الله خير الرازقين ،فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره[٦٨]، وحقيقة الرزق والرازق يعرفها المؤمن والمشرك ، قال – تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ "[٦٩]، كما أن حقيقة الأفضلية لله في سَوْقِ الرزق لعباده حقيقة لا يأتيها الشك أو الإنكار ، فهو ينعم بغير حساب ، وغيره إذا أنعم ينتظر الجزاء والحساب .

ولكن ذلك – في الحقيقة مردود من جهتين ؛ الأولى : أن هذا الكلام يصِحُّ إذا كان الحديث عن الرزق الدنيوي الملموس والمشاهد ، ولكن الآيات الكريمة في هذا الموضع تتحدث عن نوع غيبي من الرزق ، وهو رزق الأموات ، وهذا ما كان ينكره المشركون والكافرون ؛ قال – تعالى – " وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ"[٧٠]؛ إذ كان آخر عهد المعرفة العينية للخلقة البشرية التحلل والتراب والعظام ، والرزق في مثل هذه الحال أمر غيبي ، وقد وقع إنكاره من المشركين ، ولذا جاء التركيب إنكاريًّا .

وأما إلحاق اللام باسم إنَّ الذي تقدَّم عليه الخبر ، فأمثلته كثيرة في القرآن ، وقد قام الباحث بتأمل المواضع التي ذكرت فيها (إنَّ) المشددة في القرآن الكريم فبدا أمامه أمر لافت للنظر ، وهو أن (إنَّ) حين يأتي خبرها شبه جملة جارًّا ومجرورا ، ويكون الجارُّ (في) ، ويكون شبه الجملة الجار والمجرور متقدما على اسمها ، تتصل اللام باسمها في جميع المواضع التي يشملها هذا الضابط في القرآن الكريم ، حتى يبدو الأمر وكأنه قاعدة في التركيب لازمة ، وذلك كما في الآيات الكريمة التالية :

---

(٦٧) ينظر التسهيل : ١/ ٤١٧ .
(٦٨) روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي ١١٢٧هـ – دار الفكر – بيروت: ٥٢/٦ .
(٦٩) العنكبوت : ٢٩ / ٦٣ .
(٧٠) الواقعة : ٥٦ / ٤٧ .

"إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ"(٧١)،و "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً "(٧٢) و" إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(٧٣)، و " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ"(٧٤)، و"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً "(٧٥)، و" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى"(٧٦)، و" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى"(٧٧)، و"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(٧٨)، و " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"(٧٩)، و" إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ"(٨٠) و"إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ"(٨١)

فهذه المواضع على كثرتها تتَّفق في كَوْنِ اللام في تراكيبها آتية بعد " إن " حتى يبدو الأمر وكأنه لازم واجب ، في حين تجيز القاعدة النحوية في مثل هذا كله الإتيان باللام وعدم الإتيان بها ، حيث وردت (إنَّ) فيها مشددة لا مخففة مهملة، وهنا يجدر بنا التساؤل ، هل تكون هذه المواضع كلها موجهة لمنكرين؟!

---

(٧١) الأنبياء : ٢١ /١٠٦ .
(٧٢) البقرة : ٢/ ٢٤٨ و آل عمران : ٣/ ٤٩ ،هود : ١١ / ١٠٣ ، الحجر: ١٥ / ٧٧ ، النحل: ١٦ / ١١، ١٣، ٦٥، ٦٧ ،٦٩ ، الشعراء : ٢٦ / ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، النمل : ٢٧ / ٥٢ ، العنكبوت ٢٩ / ٤٤ ، سبأ : ٣٤ / ٩ .
(٧٣) الأنعام : ٦ / ٩٩ .
(٧٤) يونس : ١٠ / ٦٧ و الرعد : ١٣ / ٣ ، ٤ و إبراهيم : ١٤ / ٥ والحجر : ١٥ / ٧٥ والنحل : ١٦/ ١٢ ، ٧٩ ،وطه : ٢٠ / ٥٤ والمؤمنون : ٢٣/ ٣٠ والنمل : ٢٧ / ٨٦ والعنكبوت : ٢٩ / ٢٤ والروم : ٣٠ / ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ و لقمان : ٣١ / ٣١ و السجدة : ٣٢ / ٢٦ وسبأ : ٣٤ / ١٩ والزمر : ٣٩ / ٤٢ ، ٥٢ والشورى : ٤٢ / ٣٣ والجاثية : ٤٥ / ١٣ .
(٧٥) آل عمران : ٣/ ١٣ والنور : ٢٤ /٤٤ و النازعات : ٧٩ / ٢٦ .
(٧٦) العنكبوت : ٢٩ / ٥١ .
(٧٧) الزمر : ٣٩ / ٢١ و ق : ٥٠ / ٣٧ .
(٧٨) البقرة : ٢ / ١٦٤ .
(٧٩) آل عمران : ٣ / ١٩٠ .
(٨٠) يونس : ١٠ / ٦ .
(٨١) الجاثية : ٤٥ /٣ .

لقد فكر الباحث في هذا الأمر كثيرا ، وقد وجد أن هذه الشواهد على كثرتها تنتظم تحت وتائر متفقة متشابهة ؛ ذلك أنه يجمعها رابط معنوي ، وهو أنها جاءت للحديث عن الآيات التي يسوقها الله لعباده ، أو العبر التي يبينها لهم ، والتي يحسن كونها بلاغا للمنكرين ؛ إذ فيها موضع العبرة والعظة لمن تأمل واعتبر ، ولذلك نجد اسم إنَّ المتصل باللام في هذه الآيات يكثر أن يكون كلمة (آية) أو (آيات) أو (عبرة) إذا كان لأولي الأبصار أو لمن يخشى أو(ذكرى) إذا كان موجها لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أو (بلاغا) لمن أراد العبادة للإله الحق وحده أو (رحمة وذكرى) إذا خص به القوم المؤمنون ،فالآيات حينئذ ذكرى ، وتدبرهم لها وإيمانهم بها رحمة .

والآيات والعبر شواهد عينية أو مدركة بالحواس يسوقها الله إلى عباده لتحقيق اليقين بالغيبيات التي ليست بعينية ولا مدركة بالحواس ، ولأجل ذلك كان مطلب التوكيد الإنكاري هنا حسنا ، فالتوكيد ليس للعيني المحسوس بقدر ما هو لما يُتوَصَّل إليه بتدبر ذلك المحسوس من الحقائق الغيبية التي كانت موضع إنكار وريب.

وقد ذكر النحاة أن (إنَّ) المكسورة الهمزة قد تُخَفَّف ، وأنها حينئذ جائز فيها الإعمال والإهمال ، وإعمالها قليل ؛ قال ابن مالك :

وخُفِّفَتْ "إنَّ" فقَلَّ العملُ ∴ وتلزم اللام إذا ما تهملُ

وإذا أُهْمِلَتْ إنَّ في هذه الحالة لزمتها اللام ، ولكن العلة التي ذكرها النحاة لـلَّام هنا ليست زيادة التوكيد ، وإنما للتفرقة بين إنْ المخففة من الثقيلة و إنْ النافية ، ولذلك سمَّوْا هذه اللام باللام الفارقة ، فاللام في هذه المواضع علامة على أنَّ (إنْ) السابقة لها مؤكدة، وجعل بعض النحاة منها قراءة من قرأ " وَإِنْ كُلٌّ لَمَا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" بتخفيف (لَمَا) " فـ"كل" مبتدأ، واللام لام الابتداء، و"ما" زائدة و"جميع" خبر المبتدأ، و"محضرون" نعته"[٨٢].

(٨٢) التصريح : ١/ ٣٢٦ .

الفصل الثالث
ما جاء على غير الأصل ، وبيانه

وفيه مبحثان ؛ أولا : ما جاء من الآيات على هيئة الخبر الإنكاري ، وهو- في الظاهر- موجه إلى غير منكر ، وبيانه .

يأتي تركيب (إنَّ) مكسورة الهمزة ، وبعدها اللام في مواضع في القرآن الكريم يبدو من ظاهرها أن الخبر فيها مسوق إلى من لا ينكره ؛ فقد يكون الخبر الذي تحمله الآية الكريمة مشاهدا بالعيان واقعا لا شك فيه ولا ريب ، ومن ذلك قوله تعالى : " ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ " [٨٣]؛ فالأسلوب مؤكد بـ(إنَّ) وقد أتت اللام متصلة بخبرها ، والموت حقيقة واقعة ومدركة بالعين ، وما من شك فيها ؛ فمن أين يأتي الإنكار هنا ؟.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: بُولِغَ فِي تَأْكِيدِ الْمَوْتِ تَنْبِيهًا لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ وَلَا يَغْفُلُ عَنْ تَرَقُّبِهِ فَإِنَّ مَآلَهُ إليه فكأنه أُكِّدَتْ جُمْلَتُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِهَذَا الْمَعْنَى – حيث اجتمعت إن واللام فكان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات، لأن «إن» أفادت التكرير مرتين فإذا دخلت اللام صارت ثلاثا- لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِيهَا غَايَةَ السَّعْيِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَخْلُدُ

وَقَالَ التَّاجُ بْنُ الْفِرْكَاحِ: أَكَّدَ الْمَوْتَ رَدًّا عَلَى الدَّهْرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِبَقَاءِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ"[٨٤]

وقد تعرَّض أهل البلاغة لهذه المسألة ؛ قال القزويني : " أكَّد إثبات الموت تأكيدين وإن كان مما لا يُنْكَرُ لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت

---

(٨٣) المؤمنون : ٢٣ / ١٥ .

(٨٤) الإتقان في علوم القرآن – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤ م: ٣/ ٢١٨ ، وينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م:٢٥٣/١ ، وينظر أيضا البرهان في علوم القرآن- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت ٧٩٤هـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م:٨٨/٣ الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

لتماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل "ميتون" دون "تموتون"(٨٥)، إذ إن الجملة الاسمية لإفادة الثبوت ، والفعلية لإفادة التجدد والحدوث.

وكلام القزويني هذا من الأهمية بمكان ، فهو يقرر جانبا ينبغي أخذه في الاعتبار ، وهو أن الإنكار لا يكون دائما إنكارًا حقيقيا للخبر من جهة المخاطب ، وفي ذلك يقول بعض أهل البلاغة المحدثين : " إن التوكيد، والإرسال كليهما ناظر إلى حال المخاطب من الإنكار، وعدمه في الحالتين التحقيقية والاعتبارية، أي أن المتكلم ناظر إلى مخاطبه يصوغ عبارته على ما يقتضيه حاله الحقيقي أو الاعتباري(٨٦).

وقد حاول الباحث هنا أن يحصر الشواهد التي جاء فيها هذا التركيب المؤكد بإن واللام في القرآن الكريم ؛ ثم يتأمل مطلب الخبر الإنكاري ، وخلص إلى تحديده في النقاط التالية :

١- إنكار واقع من المخاطب تجاه حقيقة الخبر .
٢- إنكار واقع من المخاطب في صدق المخبر .
٣- إنكار متوقع من المتكلم لغرابة طبيعة الخبر .
٤- إنكار متوقع من المتكلم لتوقع ميل المخاطب إلى نقيض الخبر .

أما النوع الأول فهو كثير ؛ إذ هو الأصل ، وقد عرض له في الفصل الأول ، وأما النوع الثاني فيحمل عليه وعلى الأول قوله تعالى :" وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)" (٨٧)؛ إذ يقال :

---

(٨٥) الإيضاح في علوم البلاغة – محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق ت ٧٣٩هـ – تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة : ١/ ٧٦ .

(٨٦) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني – د . محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – الطبعة السابعة : ٩٠ .

(٨٧) يس : ٣٦ / ١٣: ١٦ .

الإنكار هنا كان إنكارا لصدق المخبر ، ويدل عليه قول أصحاب القرية : إن أنتم إلا تكذبون ، وقد يقال : الإنكار لحقيقة الخبر ؛ ويسوِّغ ذلك كون الخبر هو الإرسال ، والمخبر هو المرسل، ويقرب الأول قولهم "ما أنزل الرحمن"، إذ فيه دلالة إنكارهم الإنزال والإرسال بنفي الفعل (أنزل). وإقرار وجود المعبود ورحمته بقولهم (الرحمن)، مما يقرِّب انصراف إنكارهم جهة صدق المخبر ، ويدل على ذلك أيضا قولهم : (إن أنتم إلا تكذبون) .

"وهناك ضروب من التوكيد لا يُنْظَر فيها إلى حال المخاطب، وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه، ومدى انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه على إذاعتها، وتقريرها في النفوس كما أحسها مقررة أكيدة في نفسه، وهذا اللون كثير جدًّا وله مذاقات حسنة"(٨٨).

وهذا الضرب من التوكيد هو ما يندرج تحته النوعان الثالث والرابع ؛ أما الثالث وهو الإنكار المتوقَّع من المتكلم لغرابة طبيعة الخبر ، فمنه قوله تعالى :" إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)" (٨٩)؛ فالتركيب النحوي هنا جاء ب(ما) الموصولة، ثم جعلت صلتها مكونة من (إنَّ) المكسورة التي جاء خبرها فعلا مضارعا متصلا باللام المزحلقة (٩٠)؛ يقول سيبويه : " وتقول إذا أردت معنى اليمين: أعطيته ما إنَّ شرَّه خيرٌ من جيِّد ما معك، وهؤلاء الذين إنَّ أجبنهم لأشجع من شجعائكم. وقال الله عز وجل: " وآتيناه من الكنوز ما

(٨٨) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني : ٩٠ .
(٨٩) القصص : ٢٨ / ٧٦ .
(٩٠) ينظر مثلا مشكل إعراب القرآن – أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ت٤٣٧هـ– تحقيق: د. حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ : ٥٤٨/٢ ، و ينظر أيضا الجدول في إعراب القرآن الكريم – محمود بن عبد الرحيم صافي ت ١٣٧٦هـ – دار الرشيد، دمشق و مؤسسة الإيمان– بيروت – الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ : ٢٠ / ٢٩٢.

إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوَّة؛ فإنَّ صلةٌ لِمَا، كأنك قلت: ما والله إن شرَّه خير من جيد ما معك"(٩١).

فمعنى اليمين متضمَّن هنا ، والتوكيد توكيد إنكار ، وسببه غرابة طبيعة الخبر؛ قال ابن عباس – ﷺ–" تثقل بِالْجَمَاعَة أُوْلِي الْقُوَّة ، وهم أَرْبَعُونَ رجلا يحملون مَفَاتِيح خزانته"(٩٢).

"وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتح خزائن قارون وقر ستين بغلاً ما يزيد فيها مفتاح على أصبع ، لكل مفتاح كنز، ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما أثقلت عليه جعلت من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع وكانت تُحْمَل معه إذا ركب على أربعين بغلاً"(٩٣)، فلما كان الخبر غريبا ، عمد الخطاب القرآني الكريم إلى تقريره في النفس بتضمينه معنى اليمين بذلك التركيب .

أما القسم الرابع : وهو توقُّع ميل المخاطب إلى نقيض الخبر فقد وجدت له مواضع متعددة في القرآن الكريم ، وكان مما يسترعي الانتباه أنني حين رصدت التوكيد في المواضع التي تحدث فيها القرآن الكريم عن قصة نبي الله موسى مع فرعون وجدت أن فرعون كان يكثر من استخدام أدوات التوكيد بعد ظهور آيات موسى – عليه السلام – ؛ فجعلت هذه الشواهد تندرج تحت هذا القسم ؛ إذ إنَّ الدافع الذي دفع فرعون جهة مضاعفة التوكيد هو تيقنه من أن آيات نبي الله قد وقعت من النفوس موقعها ، فجعلت الناس يميلون للإيمان به وبرسالته؛ ففي سورة الأعراف تبدأ الآيات بالإخبار عن دعوة موسى لفرعون ؛ قال – تعالى – : " وَقَالَ

(٩١) كتاب سيبويه : ٣/ ١٤٦ .
(٩٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما ت ٦٨هـ – جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت ٨١٧هـ – دار الكتب العلمية – لبنان: ١/ ٣٣٠ .
(٩٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير– شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ت ٩٧٧هـ – مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة – ١٢٨٥ هـ : ١١٧/٣ .

مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥)

لم يحكم فرعون هنا ، بل اتسم حديثه أولا بالعقلانية ، وطلب إظهار الدليل على أن موسى رسول " قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦)"؛ فأتت الآيات والمعجزات تتوالى : " فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨)".

وحينئذ تغيرت نبرة الحديث الفرعوني ؛ إذ أحس ميل الناس جهة الآيات التي تناقض موقفه ودعوته ؛ فعمد إلى استخدام توكيد الإنكار هو ومن حوله من الملأ : " قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ".

ولكن ما زال للتعقل دور ، إذ لا علم لفرعون ولا للملأ بالسحر ، ولربما كان موسى ساحرا ، وقد خفي سحره عليهم ؛ ولذا فالعقل يطلب رؤية السحرة وشهادتهم ، ولذا " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢).

فلما وقع الحق ، وآمن السحرة أنفسهم لم يعد للتعقل عند فرعون مجالا ، فقد أدرك قوة موسى ، ولذلك عمد إلى توكيد الإنكار لما ظنه من ميل الناس إلى نقيض ما يقول؛ فجاء على لسان فرعون إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"[٩٤]؛ فجعل السحرة ماكرين به ومدبرين له ؛ وهم الذين كانوا من برهة يستفتحون بعزته (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) ، بل كانوا في انتظار أجره ومثوبته إن تحققت لهم الغلبة (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) ، وهو يجيبهم بالخبر الإنكاري "قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ " ، فهو يدفع عنهم الظن في اقتصار ثوابه على الأجر فقط ؛ فجائزتهم أجر وقربة منه ؛ "قال الكلبي: تكونون أول من يدخل عليّ وآخر من يخرج من عندي"[٩٥]، لكنهم بعد إيمانهم موضع إنكار من فرعون ؛ إذ غيرتهم الآيات فزهدوا في الأجر الفرعوني ، بل زهدوا في الدنيا كلها ،" قَالُوا إِنَّا

(٩٤) الأعراف : ٧/ ١٢٣ .
(٩٥) لباب التأويل : ٢/ ٢٣٥ .

إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)" .

أدرك فرعون ميل الناس إلى الآيات الدامغة التي جاء بها نبي الله ، وأدرك أن من كان عنده أوَّلِيَّات العقل الآدمي يعرف أن ما جاء به موسى آية لا تكون إلا لنبي مرسل ؛ فالتفت إلى السحرة قائلا: (إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(١٢٣)

مؤكِّدًا ادِّعاءه بإنَّ واللام ، ليدفع الإنكار الناتج عن ظهور الآيات المعجزات على يد موسى عليه السلام .

ويؤكد هذا الاستنتاج أن الآيات في هذا الموضع من سورة الأعراف لم تسقط فيها اللام التي بعد إن المكسورة من حديث فرعون إلا في قوله : " وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ " ؛ إذ كان يرى أن القوم يعلمون أن القهر والقوة والسلطة بيده وهو ما جعله يتوعد موسى وبني إسرائيل ، "قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" ، فهو يرى القهر ليس مُنْكَرًا عند من يسمعه ، ولذلك لم تأت اللام هنا بعد إنَّ المكسورة ، والله أعلم .

وإن الموضع الذي قص هذه القصة من سورة الشعراء ليتضح منه هذا الأمر جليا ؛ أقصد ميل المتكلم إلى توكيد الإنكار لاستشعاره ميل المخاطب إلى نقيض الخبر ؛ فالآيات تعرض لفرعون وما كان منه بعد أن رأى المعجزات ، ورأى ما رأى من السحرة وإيمانهم بموسى – عليه السلام – ؛ إذ اعتمد إرساله لأهل المدائن على الإخبار الإنكاري ؛ قال – تعالى –

"فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) ؛ فأدخل اللام على خبر (إن) في التراكيب الثلاثة التي شكلت مضمون رسالته إلى المدائن ؛لتوقُّعه ميل أهلها إلى نقيض ما يقوله .

ثانيا : ما جاء من الآيات على غير تركيب الخبر الإنكاري ، وهو موجه إلى منكر؛ وبيانه ٠

أنكر المشركون البعث والحساب بعد الموت ، وقد تعددت المواضع التي تؤكد إنكارهم له في القرآن(٩٦)، ومما جاء من ذلك قوله تعالى في سورة المؤمنون : " "قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)" (٩٧)، وفي السورة نفسها جاء الإخبار عن البعث بحرف توكيد واحد وهو (إنَّ) دون أن تأتي اللام بعدها ؛ قال تعالى : " ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)" (٩٨). وفي تفسير سبب ذلك يقول أبوحيان : " وَلَمْ تُؤَكَّدْ جملة البعث إلا بإنَّ لِأَنَّهُ أُبْرِزَ فِي صُورَةِ الْمَقْطُوعِ بِهِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ فِيهِ نِزَاعُ وَلَا يقبل إنكارا وإنه حَتْمٌ لَا بُدَّ مِنْ كِيَانِهِ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى توكيد ثان "(٩٩).

وقد أتت الآية التي قبل هذه الآية متحدثة عن الموت ومؤكِّدة له بإنَّ واللام ؛ وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الدراسة .

ويبدو أن هذا الأمر كان موضعا للدرس القديم النحوي والبلاغي كليهما ؛ أما جانب البلاغة ، ومقتضى الحال فقد تكلم فيه القزويني قائلا : " وأكَّد إثبات البعث تأكيدًا واحدًا وإن كان مما يُنْكَر؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرًا بأن لا ينكر، بل إما أن يعترف به أو يتردد فيه، فينزل المخاطبون منزلة المترددين، تنبيهًا لهم على ظهور أدلته، وحثًّا لهم على النظر فيها، ولهذا جاء تبعثون على الأصل. "(١٠٠) .

وأما جانب النحو ، والدلالة التابعة للتركيب فقد أدلى بدلوه فيها أبو حيان حين قال : "وكنت سئلت لِمَ دَخَلَتِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ لَمَيِّتُونَ وَلَمْ تَدْخُلْ فِي تُبْعَثُونَ فَأَجَبْتُ: بِأَنَّ اللام مخلصة المضارع للحال غَالِبًا فَلَا تُجَامِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ إِعْمَالَ تُبْعَثُونَ فِي الظَّرْفِ الْمُسْتَقْبَلِ تُخَلِّصُهُ لِلِاسْتِقْبَالِ فَتَنَافَى الْحَالُ، وَإِنَّمَا قُلْتُ غَالِبًا لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ قَلِيلًا مَعَ الظَّرْفِ الْمُسْتَقْبَلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ؛

---

(٩٦) من هذه المواضع في القرآن ما جاء في سورة النحل : ١٦ / ٣٨ والإسراء : ١٧ /٤٩ ، ٩٨ والنمل : ٢٧ / ٦٨ والصافات:٣٧/١٦ ، ٥٣ و ق : ٥٠ / ٣ والواقعة : ٥٦ / ٤٧ .
(٩٧) المؤمنون : ٢٣ / ٨٣ .
(٩٨) المؤمنون : ٢٣ / ١٦ .
(٩٩) البحر المحيط : ٧/ ٥٥٣ .
(١٠٠) الإيضاح للخطيب القزويني : ١/ ٧٦ .

عَلَى أَنَّهُ يُحْتَمَلُ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ وَإِقْرَارُ اللام مخلصة المضارع للحال بِأَنْ يُقَدَّرَ عَامِلٌ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ"(١٠١).

وحاصل كلامهما أن اللام لم تتصل بقوله تعالى (تبعثون) لأنها إن اتصلت به دل على الحال لا الاستقبال، والبعث مستقبل؛ فهو خاص بيوم القيامة ، وهو متعلق بالظرف الذي قبله (يوم القيامة) وهو مستقبل، ولذلك لم يجز الاتصال لئلا تتدافع الدلالتان ، أو يتوهم متوهم أن البعث المنصوص عليه يحدث في الحال لأصحاب القبور مثلا ، وإنما البعث خاص بيوم القيامة دون غيره .

ولا حاجة لزيادة توكيد باللام أو غيرها – على ما يُفهم من كلام الخطيب القزويني – إذ إن ظهور أدلة البعث جديرة بأن تجعله مما لا يُنكَر ، وبناء عليه فإن من يبالغ في إنكاره هو متردد فقط ، وهو مدعو إلى النظر العاقل في أدلة البعث الذي يتشكك فيه، إذ لا يمكن أن يتنزل شكه منزلة إنكار حقيقي للبعث ، وهو يدرك ما يقاربه ويدل عليه كرؤية بداية الخلق ثم شهادة الموت ومن رؤية اليقظة الحاصلة بعد النوم، وغير ذلك من أمور مشاهدة بالحس والإدراك لا يتأتَّى معها إنكار حقيقي للبعث من عاقل .

وجملة القول : إن الإنكار قد يكون موجودا حقيقة ، وقد يقوم عليه دليل أو قرينة قولية أو مقامية من المخاطب ؛ ثم يعمد المتكلم رغم ذلك إلى تجاهل التصريح بالخبر الإنكاري ؛ ليكون في ذلك دعوة له إلى الارعواء عن موقفه ، وتأمل الدلائل التي تدفع إنكاره ؛ فيكون بذلك أبلغ في القصد من جهتين ؛ الأولى لفت الانتباه ؛ إذ كان المخاطب متوقعا لأن يقابل بالإخبار الإنكاري ؛ فإذا به أمام خبر ابتدائي أو طلبي ؛ وكأن المتكلم يقول له لا حاجة لعاقل إلى توكيد كلاميٍّ لشيء تؤكده الشواهد العينية والحسية ، وأما الثانية فهي الحث على البحث والتأمل ومراجعة النفس والتشكك فيما يخالطها من هواجس تخالف أحكام المتعقلين من أولي الألباب ؛ فيكون المتكلم هنا أفصح ما يكون إذ استطاع أن يخلص إلى هدفه من التوكيد حيث لم يصرح بالتوكيد .

(١٠١) البحر المحيط : ٧ /٥٥٣ .

ويجدر بالمقام هنا سؤال ، وهو ؛ هل يكون الإنكار دائما من المخاطب ؛ أم أنه – فقط – الأصل في مراعاة جانب الإنكار ؟!

إن استقراء الشواهد التي وردت في القرآن الكريم يجيبنا عن هذا السؤال بأن المخاطب ليس هو دائما محط الإنكار ؛ ذلك أن الإنكار قد يكون ممن شابه المخاطب أو ممن شاركه في حكم من الأحكام ؛ ولذلك فلا عجب من أن نرى الأسلوب المؤكد توكيدا إنكاريا مسوقا إلى مخاطب لا ينكر الخبر ؛ أو مخاطب مؤمن بالخبر ؛ إذ ربما كان المخاطب وسيطا لوصول الرسالة الكلامية إلى المنكر المعنيِّ بالتوكيد .

والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :" تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)" [١٠٢]؛ فضمير المخاطب (الكاف) عائد على النبي – ﷺ – واللام داخلة على (من) الجارة لتجعل خبر إنَّ مؤكدا باللام ، وما كان النبي –ﷺ– منكرا لرسالته ؛ وإنما كان التوكيد مسوقا إلى من أنكر ذلك ممن سيسمعون هذه الآية من منكري رسالته – ﷺ –

وختاما لهذه الدراسة فإن الشواهد القرآنية التي ورد فيها تركيب (إن واللام) تثبت أن النظرية التي وردت على لسان أبي العباس ثعلب نظرية مطردة في الكلام العربي؛بيد أن لها فنونا تُدْرَكُ منها قد تَخْفَى على من لا علم له بطبائع اللغة، ولها كذلك مطالب من المقام ومقتضى الحال تحسِّن التصريح بتراكيبها النحوية تارة وإخفائها في التركيب مع إرادة معناها تارة أخرى كما اتضح من الفصلين السابقين .

وبناء عليه فإنه يمكن الاعتماد على هذه النظرية في استقراء أحوال المخاطبين النفسية أو العقدية أو الاجتماعية، وهو مقصد من مقاصد من تكلَّم من اللغويين المحدثين في تحليل الخطاب، وفي ذلك ردٌّ قاطع على كل من يقول بأن القواعد العربية والعلوم العربية كان اهتمامها منصرفا إلى التراكيب الجامدة دون أن تُعِير أحوال المتكلمين والمخاطبين اهتماما ، وكذلك ردٌّ على كل من يدَّعي إهمال

(١٠٢) البقرة : ٢/ ٢٥٢ .

العربية لأحوال النفس الآدمية ، والانطلاق في الحديث معها من خلفية تدرك ميولها النفسية والاجتماعية والعقدية....إلخ.

إن التقعيد للعربية لم يكن بمعزل عن إدراك ذلك ، وإنما كان عمق المادة المتناوَلَة وغزارتها داعيا إلى تنظيم الدرس اللغوي ؛ فالصرفي يتأمل الكلمة العربية وبنيتها وما يطرأ عليها من تغيُّر في المبنى يتبعه تغيُّرٌ في المعنى قبل دخولها إلى التركيب أو الجملة ، والنحوي يدرُسُ التركيب فهو بؤرة اهتمامه ، ومحل وصفه ، وهو مع ذلك يتأمل هذا التركيب بخلفيَّة معرفته للمطلب المعنوي الذي يُستَخْدَم فيه ، والمقام الذي يطلبه ، ولكن نتاجه العلمي يكون معظمه متجها نحو وصف التركيب الذي شكَّل بؤرة الاهتمام الأولى عنده ، تاركا وصف المقام ومقتضى الحال للبلاغيِّ ،الذي يتخطى فصاحة التركيب النحوي ليحدد المقام الذي يُستَخدم فيه هذا التركيب الفصيح ويلائمه ، وهو يقعِّد لذلك بعد تأمُّله للموروث الفصيح من قرآن وشعر ونثر ، ومعرفة بطبيعة الإرسال اللغوي والاستقبال اللغوي للمعاني التي تحملها الرسائل اللفظية الكلامية؛ فهو لذلك في حاجة إلى الاطِّلاع على ما دوَّنَه مَنْ جمعوا الفصيح ، ومن تكلموا عن أسباب نزول آي القرآن الكريم ، ومن فسروه ، ومن استقبلوا كلام رسول الله ، وكيف فهموه ، بل من نقلوا الشعر ،ومن تذوقوه واستحسنوه من أهل هذه اللغة الذين لا يُتَّهَمون في لغتهم وفصاحتهم.

ولذلك فلا عجب من أن نرى الإنتاج اللغوي للعربية على هذا القدر من الغزارة والعمق وتخصص النظر ، ولا عجب من أن نرى لنظريات الحداثة في اللغات المختلفة جذورا عندنا في درسنا اللغوي ؛ ولسنا مبالغين إذا ما قلنا : إن تاريخ الدرس اللغوي لم تحظ فيه واحدة من اللغات بمثل ما حظيت به العربية ، وكيف لا تحظى بذلك وقد حظيت بما يوجِبُه ؛ ألا وهو كتاب الله " قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) "[١٠٣].

(١٠٣) الزمر : ٣٩ / ٢٨ .

خاتمة تتضمن أهم نتائج الدراسة

يمكننا أن نذكر أهم نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية

أولا : رجَّحَت الدراسة أن أبا العباس المقصود بركوب الكندي الفيلسوف خلفه هو ثعلب وليس المبرد ؛ إذ كانت الرواية منقولة عن ابن الأنباري وهو من تلاميذ ثعلب ؛ بل إنه أحد طرق النقل عن أبي العباس ثعلب ، وأكدت ذلك بأن المصادر التي روت نوادر عن الكندي الفيلسوف أوردت نوادره بالكوفة ، بل إنَّ من ترجموا له نصُّوا على أنه وُلِدَ وعاش بالكوفة وهو ما يقربه من ثعلب خاتم الكوفيين لا المبرد خاتم البصريين ، وأوضحت الدراسة سبب هذا الخلط في المصادر، وسبب اختلاف المصادر المتأخرة في تحديد أبي العباس هذا.

ثانيا : بعد رصد ما أقرَّه النحاة من مواضع يجوز فيها دخول اللام بعد (إنَّ) المكسورة الهمزة ، ومواضع يمتنع فيها دخول اللام لعلة نحوية ، ومواضع يجب فيها دخول اللام ، وبعد تبيين علة إدراك التوكيد من هذه اللام استطاعت الدراسة أن ترصد تواتر دخول اللام بعد إنّ على اسمها المتأخر، وذلك حين يأتي خبرها شبه جملة جارا ومجرورا ، ويكون الجار (في) ، ويكون شبه الجملة الجار والمجرور متقدما على اسمها ؛ حيث بدا ذلك في جميع المواضع التي يشملها هذا الضابط في القرآن الكريم ، حتى يبدو الأمر وكأنه قاعدة لازمة علما بأن القواعد النحوية في مثل ذلك التركيب تجيز دخول اللام ولا توجبه ، وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك ضابطا معنويا يجمع هذه الشواهد على كثرتها واختلاف مواضعها في القرآن الكريم ، وأنه هو السبب في دخول اللام على الاسم المتأخر ؛ إذ تبيَّن أن كل هذه المواضع تتحدث عن الآيات والعبر التي تقابَل بالإنكار ، مما رجَّح أن المعنى هو الذي يكون عليه التعويل في دخول اللام أو عدمه بعد إنَّ، وهو ما يدعم القول باطِّراد ما قاله أبو العباس في أساليب العربية.

ثالثا : انتهت الدراسة إلى استقراء الطبيعة الإنكارية من الشواهد القرآنية التي جاء الخبر فيها إنكاريًّا ؛ إذْ حدَّدَت الدراسة مطلب الخبر الإنكاري في أربعة عناصر هي :

١- إنكار واقع من المخاطب تجاه حقيقة الخبر .

٢- إنكار واقع من المخاطب لصدق المخبر .

٣- إنكار متوقع من المتكلم لغرابة طبيعة الخبر .

٤- إنكار متوقع من المتكلم لتوقع ميل المخاطب إلى نقيض الخبر .

كما استنتجت الدراسة أن الإنكار قد يكون واقعا من غير المخاطب لوجود علاقة بين المنكر والمخاطب ؛ فيُلْقَى الخبر الإنكاري إلى المخاطب ، والمراد به دفع الإنكار الواقع عند غيره ، وقد مثلت الدراسة لذلك في الفصل الثاني .

رابعا : ذهبت الدراسة إلى القول بإمكانية الاستفادة من هذه العلاقة في استقراء أحوال المخاطبين النفسية والعقدية والاجتماعية إذا ما كان النص فصيحا؛ إذ تبين أن هذا أصل من الأصول في الكلام العربي الفصيح ، كما بينت أن هذا الجانب قد ظهر عند كثير من أهل التفسير ، فنصوا على العلاقة بين التركيب النحوي والمطلب البلاغي للخبر الإنكاري ، وتكلموا عن جوانب شتى تُدْرَك منها طبيعة الإنكار ، والجهة المُنْكِرة التي سيق إليها الخبر بذلك التركيب ليدفع إنكارها، والدراسة تعزي انشغال النحاة برصد مواضع دخول اللام بعد (إنَّ) عن ذكر مطالب هذا التركيب وذكر مقاماته المختلفة إلى أن عمق المادة المتناوَلَة وغزارتها كان داعيا إلى تنظيم الدرس اللغوي ؛ بحيث ينصرف النحوي وراء رصد التركيب تاركا للبلاغي ذكر المقامات التي تلائمه وتطلبه .

المصادر و المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤ م.

٢-الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي - تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي -مؤسسة الرسالة - بيروت -الطبعة الثالثة - ١٩٨٨م.

٣-الأمالي - أبو علي القالي ت ٣٥٦هـ - دار الكتب المصرية -الطبعة الثانية، ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م .

٤-إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي ت ٦٢٤ هـ - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٥-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - أبو البركات عبد الرحمن الأنباري - دار الفكر - دمشق .

٦-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - ابن هشام الأنصاري - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - ٢٠١٢م = ١٤٣٣ هـ

٧-الإيضاح في علوم البلاغة - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق ت ٧٣٩هـ - تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي - دار الجيل - بيروت - الطبعة الثالثة .

٨- البحر المحيط في التفسير - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت ٧٤٥هـ تحقيق: صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت - ١٤٢٠ هـ .

٩-البرهان في علوم القرآن- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت ٧٩٤هـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.

١٠-تذكرة الحفاظ – الذهبي ت ٧٤٨هـ- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
١١-التذكرة الحمدونية – محمد بن الحسن بن حمدون، أبو المعالي البغدادي ت٥٦٢هـ – دار صادر، بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .
١٢-التصريح بمضمون التوضيح – الشيخ خالد الأزهري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢١ هـ =٢٠٠٠ م .
١٣-التعليقة على كتاب سيبويه -أبو علي الفارسي ت ٣٧٧هـ – تحقيق د.عوض بن حمد القوزي – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م .
١٤-التَّفْسِيرُ البَسِيْط – أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت ٤٦٨هـ – عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ .
١٥-التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " – فخر الدين الرازي – -دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .
١٦-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما ت ٦٨هـ – جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت ٨١٧هـ – دار الكتب العلمية – لبنان .
١٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)-تحقيق د.عبد الرحمن علي سليمان – دار الفكر العربي- الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م
١٨-الجدول في إعراب القرآن الكريم – محمود بن عبد الرحيم صافي ت١٣٧٦هـ – دار الرشيد، دمشق و مؤسسة الإيمان- بيروت – الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ .
١٩-الجنى الداني في حروف المعاني – بدر الدين حسين بن قاسم المرادي المصري المالكي ت ٧٤٩هـ – تحقيق : د فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ=١٩٩٢م.

٢٠-الجواهر الحسان في تفسير القرآن- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت ٨٧٥هـ - تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

٢١-حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ =١٩٩٧م .

٢٢-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - البغدادي ت١٠٩٣هـ -تحقيق عبدالسلام محمد هارون - مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٢٣-خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني - د . محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - الطبعة السابعة .

٢٤-الدر المصون في علم الكتاب المكنون - السمين الحلبي المتوفى ٧٥٦ هـ تحقيق د.أحمد بن محمد الخراط - دار القلم - دمشق .

٢٥-دَرْجُ الدُّرر في تَفْسِيرِ الآيِ والسُّوَر - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار ت ٤٧١هـ - حقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان وحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير- دار الفكر - عمان، الأردن -الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ .

٢٦-دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق د. عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١ م .

٢٧- دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني -تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

٢٨-روح البيان - إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي - دار الفكر - بيروت .

٢٩-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ت ٩٧٧هـ - مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة - ١٢٨٥ هـ .
٣٠-سرور النفس بمدارك الحواس الخمس - أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي ت٦٥١هـ هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) ت ٧١١ هـ - تحقيق: إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت-لبنان -١٩٨٠ .
٣١-سير أعلام النبلاء - الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ - تحقيق إبراهيم الزيبق وشعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
٣٢- شرح المفصل - ابن يعيش - قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م.
٣٣-شرح تسهيل الفوائد - ابن مالك الطائي الجياني، أبوعبدالله، جمال الدين - تحقيق د.عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون - هجر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٣٤-صبح الأعشى في صناعة الإنشا - أحمد بن علي الفزاري القلقشندي ت٨٢١هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
٣٥-طبقات النحويين واللغويين - أبو بكر الزبيدي الأندلسي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف -القاهرة - مصر - الطبعة الثانية .
٣٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تحقيق: زكريا عميرات - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
٣٧- الغرة في شرح اللمع - أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان - ت٥٦٩هـ - تحقيق د. فريد الزامل - دار التدمرية - الرياض الطبعة الأولى ١٤٣٢= ٢٠١١م.

٣٨- الفهرست - محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.
٣٩-كتاب سيبويه - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق عبدالسلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة .
٤٠- لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن ت ٧٤١هـ - تحقيق : محمد علي شاهين -دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ .
٤١-اللباب في علل البناء والإعراب - أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله - تحقيق: غازي مختار طليمات - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٤٢- اللباب في علوم الكتاب -أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفى ٧٧٥هـ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ = ١٩٩٨ م .
٤٣- محاسن التأويل - محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ١٣٣٢هـ - تحقيق محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلميه - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
٤٤- مشكل إعراب القرآن - أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ت ٤٣٧هـ- تحقيق: د. حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت -الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ .
٤٥- معاني القرآن - الفراء - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م .
٤٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)- عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٤٧- معجم المسائل النحوية والصرفية الواردة في القرآن الكريم - الدكتور فانيامبادي عبدالرحيم - الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة – الطبعة الأولى.

٤٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت - ١٤١١ هـ = ١٩٩١م .

٤٩- مفتاح العلوم – السكاكي ت ٦٢٦هـ - ضبطه وعلق عليه وكتب هوامشه نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ =١٩٨٧.

٥٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل - أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ت٧٠٨هـ - وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي - دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان .

٥١- نهاية الأرب في فنون الأدب – أحمد بن عبدالوهاب القرشي التيمي؛ شهاب الدين النويري – دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.

٥٢ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع- جلال الدين السيوطي - تحقيق د/عبدالحميد هنداوي -المكتبة التوفيقية -القاهرة – مصر .